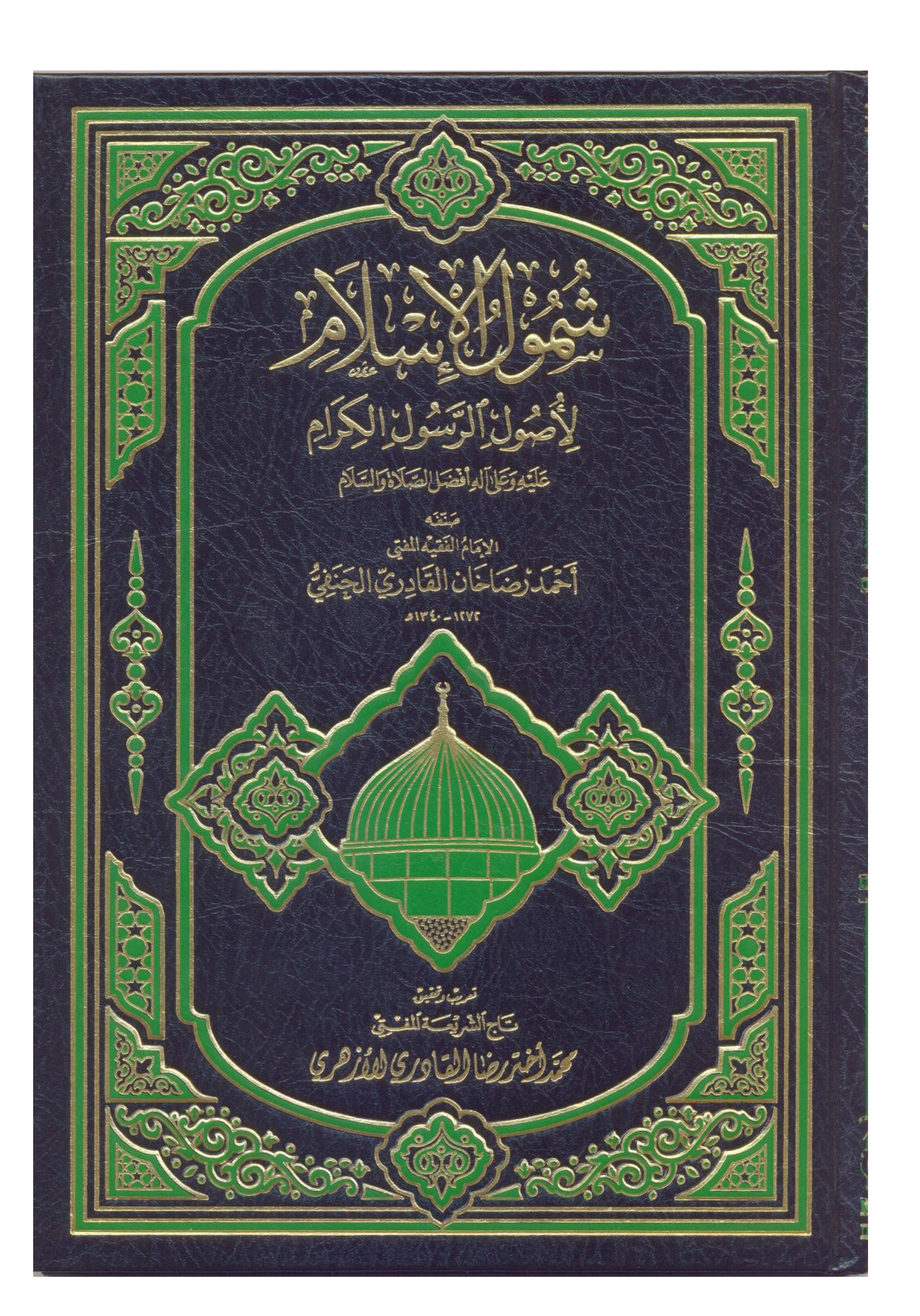

شمول الإسلام
لأصول الرسول الكرام
عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام
صنفه
الإمام الفقيه المفتي
أحمد رضا خان القادري الحنفي
١٢٧٢-١٣٤٠هـ
تعريب وتحقيق
تاج الشريعة المفتي
محمد أختر رضا القادري الأزهري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اللّهم لك الحمد الدائم الباطن الظاهر ، نصلي ونسلم على المصطفى الكريم ، نورك الطيب الطاهر الزاهر ، الذي نزهته من كل رجس ، وأودعته في كل مستودع طاهر ، ونقلته من طيب إلىٰ طيب ، فله الطيب الأوّل والآخر ، وعلىٰ آله وصحبه الأطائب الأطاهر ، آمين .

* * *

شروع في الجواب

الدليل الأوّل :

يقول الله عزّ وجل : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [البقرة: ٢٢١] ، ويقول رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتىٰ كنت من القرن الذي كنت فيه » الحديث ، رواه البخاري في « صحيحه » ، عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه[١] .

وفي حديث صحيح عن أمير المؤمنين مولى المسلمين عليّ كرّم الله تعالىٰ وجهه : (لم يزل علىٰ وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ، فلولا ذلك .. لهلكت الأرض ومن عليها) أخرجه عبد الرزّاق وابن المنذر بسند صحيح علىٰ شرط الشيخين[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٧) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (٩٠٩٩) ، قال الإمام السيوطي في « مسالك الحنفا » (٢/ ٢١٢) بعد إيراده : (هٰذا إسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل =

وفي حديث صحيح لعالم القرآن ولحبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : (ما خلت الأرض من بعد نوح عن سبعة يدفع بهم عن أهل الأرض)[1] .

أخذه رضي الله عنه في الاستدلال لدعواه بما قدم من الكتاب والسنة

إذ قد ثبت بأحاديث صحاح : أنه لم يزل علىٰ وجه الأرض في كل قرن وطبقة على الأقل سبعة مسلمون عباد صالحون لا محالة ، وثبت بنفس الحديث الصحيح عند البخاري : أن أولـئك الذين ظهر منهم النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم كانوا في كل قرنٍ وفي كل زمان من خير القرون .

والآية القرآنية ناطقة بأن الكافر مهما كان من شرف النسب وعلو الحسب . . لا يجوز أن يكون خيراً من عبد مؤمن ، فوجب أن يكون آباء النبي المصطفىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم وأمهاته في كل قرن وطبقة من أولـئك الصالحين ، وإلا . . لكان الأمر علىٰ خلاف قول المصطفىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم المخرج في « صحيح البخاري » ، وعلىٰ خلاف قوله سبحانه وتعالىٰ في القرآن العظيم .

= الرأي ، فله حكم الرفع ، وقد أخرجه ابن المنذر في « تفسيره » عن البري ، عن عبد الرزاق به) .

(١) قال الإمام السيوطي في « الحاوي للفتاوي » في (مسالك الحنفا) (٢/ ٢١٢) : (أخرج الإمام أحمد ابن حنبل في « الزهد » ، والخلال في « كرامات الأولياء » بسند صحيح علىٰ شرط الشيخين عن عبد الله بن عباس قال : « ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض » هـٰذا أيضاً له حكم الرفع) ، وأخرج أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٢٠) عن كعب قال : (لم يزل في الأرض بعد نوح عليه السلام أربعة عشر يدفع بهم العذاب) .

شروع في التفصيل ، وإيضاح الحديث ، وشرحه لمعنىٰ : « خير القرون »

قال رضي الله عنه : أقول : والمعنىٰ : أن الكافر لا يستأهل شرعاً أن يطلق عليه أنه من خيار القرون ـ لا سيَّما وهناك مسلمون صالحون ـ وإن لم ترد الخيرية إلا بحسب النسب ، فافهم هـٰذا الدليل .

أفاده الإمام الجليل ، جلال الملة والدين ، السيوطي قدس سره ، فالله يجزيه الجزاء الجميل .

الدليل الثاني :

قال الله عزوجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] .

وفي الحديث : أن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يقول : « لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّىً مهذباً ، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما » .

وفي رواية : يقول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلىٰ أرحام الطاهرات » رواهما أبو نعيم في « دلائل النبوة » عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما[١] .

وفي حديث آخر : يقول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتىٰ أخرجني من بين أبويّ » رواه ابن أبي عمر العدني في « مسنده » عنه رضي الله تعالىٰ عنه .

فوجب أن يكون آباؤه الكرام الطاهرون عليه الصلاة والسلام وأمهاته الكرائم الطاهرات جميعاً أهل إيمان وتوحيد ؛ لأنه ليس لكافر ولا لكافرة نصيب من الكرم والطهارة بنص القرآن .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (١٥) .

تأويلٌ [تأويلاً][1] ، ويشهد له عمل العلماء في الاحتجاج بالآيات علىٰ أحد التأويلات قديماً وحديثاً .

الدليل الرابع :

قال المولىٰ تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥] الله أكبر ؛ ما زال صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في الحضرة الإلـٰهية ، من عظمة وجاهٍ ومحبوبية ، قد بشَّره صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ربُّه في أمته ، فقال له في أمته : « سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك » رواه مسلم في « صحيحه »[2] .

ولـٰكن بلغ هـٰذا العطاء والإرضاء إلىٰ أن قال صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في أبي طالب : « وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته إلىٰ ضحضاح » رواه البخاري ومسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالىٰ عنهما[3] .

وفي حديث آخر صحيح : قال صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « ولولا أنا . . لكان في الدرك الأسفل من النار » روياه أيضاً عنه رضي الله تعالىٰ عنهما[4] .

وفي حديث آخر صحيح : قال صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « أهون أهل

= (ما زال النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يتقلب في أصلاب الأنبياء حتىٰ ولدته أمه) .

(١) لعل هناك سقطاً في النسخة التي عندنا ، وحق العبارة ما أُثبت ، والله أعلم .

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢) والحديث بتمامه : عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى . . . ﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآية . وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال : « اللهم ؛ أمتي أمتي » وبكىٰ ، فقال الله عز وجل : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمدٍ ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ، وهو أعلم ، فقال الله : يا جبريل ؛ اذهب إلى محمدٍ فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك . ففي هـٰذا الحديث جانب من محبة سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم لأمته وشفقته عليها .

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩/٣٥٨) ، واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩/٣٥٧) .

النار عذاباً أبو طالب » روياه عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنه[1] .

وظاهر جداً : أن القرب الذي للأبوين الكريمين منه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أيّ نسبة لأبي طالب من ذلك ؟! ثم إن عذرهما واضح ؛ إذ لم تبلغهما الدعوة ، ولم يدركا زمن الإسلام ، فلو لم يكونا من أهل الجنة ـ والعياذ بالله ـ لكان من الواجب أن يكونا أهون عذاباً من أبي طالب ، ولكانا أخف من الجميع ، وهـٰذا علىٰ خلاف الحديث الصحيح ، فوجب أن الأبوين الكريمين من أهل الجنة ، ولله الحمد .

إلىٰ هـٰذا الدليل أيضاً أشار الإمام خاتم الحفاظ[2] .

تقريره وتوضيحه للدليل وبسطه بالتفصيل

قال رضي الله عنه :

أقول ـ وبالله التوفيق ـ : تقرير الدليل بأن الصادق المصدوق صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أخبر أن أهون العذاب من بين أهل النار علىٰ أبي طالب .

الآن نحن نسأل : لماذا هـٰذا التخفيف علىٰ أبي طالب ؟ ألِمُواساة أبي طالب وموالاته وخدمته ونصرته له عليه الصلاة والسلام ، أم لمحبته صلى الله تعالىٰ عليه وسلم له من جهة الطبع ، ولكونه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أحب مراعاته ؟

يقول النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « عم الرجل صنو أبيه » رواه الترمذي بسند حسن عن أبي هريرة وعن علي رضي الله تعالىٰ عنهما ، والطبراني في « الكبير » عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما[3] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢١٢) ، واللفظ له .
(٢) « مسالك الحنفا » (٢/ ٢٢٨) .
(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، و(٣٧٦٠) من حديث علي رضي الله عنه، و(٣٧٥٨) من حديث المطلب بن ربيعة رضي الله عنه ، وهو عند =

الشق الأول باطل ؛ قال الله عزوجل : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] هٰذا صريح إعلام بأن الكافر المحض متبَّر كلُّ عمله .

فالشق الثاني صحيح لا محالة ، وهو المستفاد من هٰذه الأحاديث الصحيحة المذكورة .

كانت حقيقة عمل أبي طالب بحيث جذبه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من داخل النار ، يقول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « ولولا أنا . . لكان في الدرك الأسفل من النار »[1] ، لا جرم أن هٰذا التخفيف إنما هو تطييب لخاطره صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، وباهر إكرام له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم .

وجليٌّ ـ بداهة ـ أنه لن يشتدَّ علىٰ قلبه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم عذاب أبي طالب ما يشتدُّ عذاب الأبوين الكريمين ، فالعياذ بالله ، ليس له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من قرَّة عين في التخفيف عن أبي طالب ما له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في أبويه ، والعياذ بالله ، وليس له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من إجلال وإكرام في مراعاة أبي طالب ما له في نجاة أبويه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، ولو لم يكونا ـ عياذاً بالله ـ من أهل الجنة . . لكانا أحق بهٰذه الرعاية والعناية بكل وجه .

ووجه آخر : هب أن هٰذا التخفيف مجازاة لأبي طالب بالتربية والخدمة ، ولٰكن أيُّ تربية تعدل الجزئية ؟! وأي خدمة تساوي الحمل والوضع ؟! وهل يساوي حقُّ المربي والخادم حقَّ الوالدين الذي أحصاه الربُّ العظيم مع حقه العظيم ؛ قال تعالىٰ : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤] .

= مسلم (٩٨٣) ، وابن حبان (٣٢٧٣) ، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وعند الطبراني في « الكبير » (١٠/ ٢٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم .

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ، ومسلم (٢٠٩/ ٣٥٧) .

ثم إن أبا طالب خدمه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم سنين ، وأحزنه عند رحيله حزناً لا مثيل له ، أمره صلى الله تعالىٰ عليه وسلم بأن يأتي بالشهادة ، وألحَّ عليه ، ولـٰكن ما امتثل أبو طالب أمره ، ما فعل أبو طالب وما كان ليفعل ، وارتكب جريمة لا تغفر ، والمشاهدة للمعجزات طول العمر والعلم التام بأحواله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أوجب بشدَّةٍ قيام حجة الله ، بخلاف الأبوين الكريمين ؛ حيث لم تبلغهما الدعوة ولم يجحدا ، فبكلٍّ وجه كفَّتُهُما هي الراجحة ، فإنما يتصور كون أبي طالب أهون أهل النار عذاباً . . فيما إذا لم يكن الأبوان الكريمان من أهل النار ، وهو المقصود ، والحمد لله العلي الودود .

الدليل الخامس :

أقول : قال المولىٰ عز وعلا : ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر : ٢٠] .

في الحديث : أن سيد المرسلين صلى الله تعالىٰ عليه وسلم رأى امرأة صالحة من سلالة سيدنا عبد المطلب تُقبل ، قال لها صلى الله تعالىٰ عليه وسلم لما دنت : « ما أخرجك من بيتك » ، قالت : أتيت أهل هـٰذا الميت ، فترحمت إليهم وعزيتهم بميتهم ، قال صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « لعلك بلغت معهم الكدىٰ ؟ » ، قالت : معاذ الله أن أكون بلغتها وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر ، قال سيد الورىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « لو بلغتها . . ما رأيتِ الجنة حتىٰ يراها جدُّ أبيك » رواه أبو داوود ، والنسائي واللفظ له ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالىٰ عنهما[1] .

أما أبو داوود . . فتأدَّب وكنَّىٰ ، وقال : (فذكر تشديداً في ذلك) .

---

(١) أخرجه أبو داوود (٣١٢٣) ، والنسائي (٤/ ٢٧) عن ربيعة بن سيف المعافري ، قال أبو عبد الرحمـٰن ـ يعني : النسائي ـ : ربيعة ضعيف ، وهو عند ابن حبان (٣١٧٧) ، والحاكم (١/ ٣٧٣) ، وغيرهم ، والمرأة هي السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

وأما أبو عبد الرحمـٰن . . فأدَّىٰ وروىٰ لتبليغ العلم وأداء الحديث علىٰ وجهه ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨] ، هـٰذا ما نطق به الحديث .

استدلاله رضي الله عنه بما أورده من الحديث بأسلوب مبتكر ، وذكره لمقدمات أربعة توطئة لحمل الحديث علىٰ معنىً يندفع به ما يوهم التعارض ، وإرجاعه إلىٰ معنىً يطابق عقائد أهل السنة

قال : والآن نظرة إنصاف تطلب منك أيها السامع ، وعقائد أهل السنة نصب عينيك :

١ـ خروج النساء إلى المقبرة غاية ما فيه أنه معصية .

٢ـ ولن تحرم معصية مؤمناً من الجنة ، ولن تجعله يساوي الكافر ، وتقرر عند أهل السنة :

- أن مصير المؤمن إلى الجنة واجب شرعاً ولو بعد المؤاخذة عياذاً بالله .
- ودخول الكافر الجنة محال شرعاً لا يمكن أبداً .

٣ـ والنصوص يجب حملها علىٰ ظواهرها ما أمكن ، والتأويل غير جائز بغير ضرورة .

٤ـ والعصمة في نوع البشر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والثناء خاصةً ، وصدور الذنب ممَّن سواهم وإن بلغ من الفضل ما بلغ جائز ومتصور .

هـٰذه الأربعة في عقائد أهل السنة ثابتة ومقررة .

الآن : إن تفرض البلوغ إلى المقابر بحكم المقدمة الرابعة ـ يعني : والعصمة في نوع البشر للأنبياء عليهم الصلاة والثناء خاصة . . . إلخ ـ وجب ترتب الجزاء[1] بحكم المقدمة الثالثة ـ أي : والنصوص يجب حملها علىٰ

(١) قوله : (وجب ترتب الجزاء بحكم المقدمة الثالثة) يعني : وجب ألا تدخل تلك المرأة=

. . . .

= الجنة حتىٰ يدخلها جد أبيها ـ عبد المطلب ـ وقدم رضي الله عنه : أن بلوغ النساء المقابر غاية أمره أنه معصية في المقدمة الأولىٰ ، وأن النصوص تحمل علىٰ ظواهرها في الثالثة ، وقوله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « ما رأيت الجنة حتىٰ يراها جد أبيك » . ظاهره : أن مصير عبد المطلب إلى الجنة ، وأنه يدخلها ، والنصوص لا تصرف عن ظواهرها ، فوجب بحكم الحديث : أن يتأخر دخول تلك المرأة إلىٰ أن يدخلها جد أبيها عبد المطلب فيما إذا بلغت المقابر .

وإن فرض عبد المطلب غير مؤمن . . لزم المحال والباطل ؛ أعني : دخول المؤمن النار ودخول الكافر الجنة ، وكلا الأمرين محال وباطل بحكم المقدمتين المذكورتين ، وبحكم قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر : ٢٠] .

ثم لا يذهبن عنك أن (حتىٰ) للغاية ، وهي تنبىء عن الامتداد والتأخُّر ، فدل الحديث علىٰ تأخر دخول تلك المرأة عن غيرها فيما إذا بلغت المقابر ؛ لأن المقام مقام تهديد ، ودل الحديث على امتداد محنة تلك المرأة وتأخر دخولها الجنة ، وأيضاً علىٰ تأخر دخول عبد المطلب الجنة عن غيره من السابقين ، كما لا يخفىٰ .

هـٰذا مدلول الحديث من غير تكلف ، ولا دلالة فيه علىٰ غير هـٰذا المعنىٰ عند أهل السنة ، ولئن صُرف إلىٰ غيره بنوع تكلف أو تأويل . . لزم المحظور ؛ وهو ارتكاب التأويل من غير ضرورة اصطدام التأويل مع قواعد العقائد التي قدمها الإمام المجدد أحمد رضا رضي الله تعالىٰ عنه ، وإذا اصطدم التأويل مع دليل من الشرع . . فهو ردٌّ ، بل هو حقيق بأن يدعىٰ تحريفاً ، ولذلك نرى الإمام الجليل الجلال السيوطي قال في كتابه « زهر الربىٰ على المجتبىٰ » (٤/ ٢٧) كتاب الجنائز ، باب النعي : (« لو بلغتها معهم . . ما رأيت الجنة حتىٰ يراها جد أبيك » أقول : لا دلالة في هـٰذا علىٰ ما توهمه المتوهمون ؛ لأنه لو مشت امرأة مع جنازة إلى المقابر . . لم يكن ذلك كفراً موجباً للخلود في النار كما هو واضح ، وغاية ما في ذلك : أن يكون من جملة الكبائر التي يعذَّب صاحبها ، ثم يكون آخر أمره إلى الجنة ، وأهل السنة يؤوِّلون ما ورد من الحديث في أهل الكبائر أنَّهم لا يدخلون الجنة ، والمراد : لا يدخلونها مع السابقين الذين يدخلونها أوَّلاً بغير عذاب ، فأكثر ما يدل الحديث المذكور علىٰ أنها لو بلغت معهم الكدىٰ . . لم تر الجنة مع السابقين ، بل يتقدم ذلك عذاب ، أو شدة ، أو ما شاء الله من أنواع المشاق ، ثم يؤول أمرها إلىٰ دخول الجنة قطعاً ، ويكون المعنىٰ به كذلك : لا ترى الجنة مع السابقين ، بل يتقدم ذلك الامتحان وحده أو مع مشاق أخر ، ويكون معنى الحديث : لم تر الجنة حتىٰ يأتي الوقت الذي يراها فيه جد أبيك ، فترينها حينئذ ، فتكون رؤيتك لها متأخرة عن رؤية غيرك من السابقين لها ، هـٰذا مدلول =

. . . .

= الحديث ، لا دلالة له علىٰ قواعد أهل السنة غير ذلك ، والذي سمعته من شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المُناوي وقد سئل عن عبد المطلب فقال : هو من أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة ، وحكمهم في المذهب معروف) .

وبهٰذا بان أن ما قاله الإمام أحمد رضا ومن قبله الإمام السيوطي . . هو مدلول الحديث ظاهراً ، ولله الحمد .

تنبيه : إياك وأن تغترَّ بما وقع في « دلائل النبوة » للإمام البيهقي ، ولا إخاله عنه ، وأظنه إلحاقاً ؛ لأن الطبعة حديثة ، والنسخة ناقصة كما يظهر بمطالعتها ، وهـٰأنذا أسوق ما وقع فيه مقروناً بالردِّ .

قال ـ بعد ما أورد حديث : « لو بلغت معهم الكدىٰ . . ما رأيت الجنة حتىٰ يراها جد أبيك » ـ : (كيف لا يكون أبواه وجده بهٰذه الصفة في الآخرة ؟! وكانوا يعبدون الوثن حتىٰ ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأمرهم لا يقدح في نسب رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ؛ لأن أنكحة الكفار صحيحة ، ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، وبالله التوفيق) « دلائل النبوة » (١/ ١٩٢) .

أقول : كيف يكونون بهٰذه الصفة المزعومة ، وهي الحرمان المؤبَّد من دخول الجنة ـ وإنَّما قلت : المزعومة ؛ لأن الحديث لا دلالة فيه علىٰ ما زعمت ، بل الحديث يدل بظاهره علىٰ رؤيتها الجنة ولو متأخراً ، كما يدلُّ ظاهره علىٰ رؤية جده صلى الله تعالىٰ عليه وسلم للجنة ـ والنصوص تحمل على الظواهر ، والخروج إلى المقابر ليس إلا معصية ، فلا يستقيم علىٰ ذلك حمل الحديث على الوعيد بالحرمان من دخول الجنة مؤبّداً ، وعلىٰ هٰذا : فظاهر الحديث قاضٍ بإيمان جد النبيِّ عبد المطلب ، ومناد بدخوله الجنة ولو متأخّراً ، فمن أين لك ما زعمت ؟!

والحديث يبرِّىء ساحة سيدنا عبد المطلب بخصوصه ، وما قدمته من الأحاديث ـ مثل قوله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة لا ننتفي من أبينا ولا نقفو أمنا » ، ومثل قوله : « أنا خيركم نفساً وخيركم أباً » ، ومثل قوله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتىٰ كنت من القرن الذي كنت فيه » وقد أخرجها البيهقي نفسه في « دلائل النبوة » (١/ ١٧٣ـ ١٧٥) ، والأخير عند البخاري في « صحيحه » (٣٥٥٧) ـ يبرِّىء ساحتهم عن الشرك ، ووجه الاستدلال بها مبيَّن فيما مضىٰ من الأدلة ، وقضية هٰذه الأحاديث : أن يكون الأب معدولاً عن ظاهره مراداً به العمُّ ، وعلىٰ هٰذا ، فالحديث الذي رواه الإمام البيهقي في « دلائل النبوة » ـ ولفظهُ : أن رجلاً قال : =

. . . .

= يا رسول الله ؛ أين أبي ؟ قال : « في النار » ، فلمَّا قفَّىٰ . . دعاه ، فقال : « إن أبي وأباك في النار » وهو عند مسلم في « الصحيح » (٢٠٣) ـ لم يرد في أبيه الحقيقي الذي توفي في الفترة ، حتىٰ يتفكر في رفع المنافاة بين هـٰذا وبين ما ورد في أهل الفترة كما صنع الإمام ابن كثير ؛ إذ يقول في « البداية والنهاية » (٢/ ٦٨٥) تعقيباً علىٰ كلام البيهقي السالف بعد أن نقله : (وإخباره عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة ، كما بسطناه سنداً ومتناً في « تفسيرنا » عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ـ فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب ، فيكون هـٰؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة) ؛ إذ إنه ذكر هـٰذا بعد أن أورد جملة أحاديث منها : حديث أين أبي ، وقد مر بيانه ، ومنها : حديث السيدة فاطمة رضي الله عنها السالف ، وقول النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم لها : « لو بلغتيها معهم . . ما رأيت الجنة حتىٰ يراها جد أبيك » ، ذكره مستدلاً به علىٰ عدم نجاة عبد المطلب ، وفي استدلاله نظر ظاهر كما مر ، ومنها : أحاديث تتعلق بأم النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، وغاية ما فيها هو ما رواه الإمام البيهقي في « الدلائل » (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠) في أحاديث عدة ، مفادها : أنه لم يؤذن له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في الاستغفار لأمه ، وهو غير صريح في الدلالة علىٰ كفرها والعياذ بالله تعالىٰ ، إذاً : فالمنافاة المحتملة التي منعها الإمام ابن كثير غير واردة ؛ لأنها ترد فيما لو كان في الأحاديث ما فيه تصريح بعدم النجاة مع صحتها ، وهـٰذا لم يكن ؛ إذ غاية ما يتحصل من الأحاديث : أنه عليه السلام لم يعط الشفاعة في حقها ، ومثل هـٰذا يقع فيمن يبقىٰ في جهنم من أهل لا إلـٰه إلا الله ، يستأذن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أن يخرجهم من النار ، فيقال له : ليس ذلك لك .

نعم ؛ روىٰ في « الدلائل » (١/ ١٨٩) خبراً في أم النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم بخصوصها بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ولفظه : خرج رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ينظر في المقابر ، وخرجنا معه ، فأمرنا ، فجلسنا ، ثم تخطَّى القبور حتى انتهىٰ إلىٰ قبرٍ منها ، فناجاه طويلاً ، ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم باكياً ، فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، ثم إن رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أقبل إلينا ، فتلقاه عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ؛ صلى الله عليك ما الذي أبكاك ؟ لقد أبكانا وأفزعنا ، فجاء ، فجلس إلينا ، فقال : « أفزعكم بكائي ؟ » فقلنا : نعم يا رسول الله ، فقال : « إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب ، وإني استأذنت ربي في زيارتها ، فأذن لي فيه ، واستأذنت ربي في الاستغفار لها ، فلم يأذن لي فيه ، ونزل عليَّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣] =

ظواهرها ما أمكن ، والتأويل غير جائز بغير ضرورة ـ وعلىٰ تقدير أن يعتقد عبد المطلب غير مؤمن عياذاً بالله . . لزم المحال والباطل بحكم المقدمتين الأوليين ، وأيضاً بحكم الآية ، فوجب أن يكون عبد المطلب مؤمناً ومن أهل

= حتىٰ ختم الآية : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة : ١١٣] ، فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة ، فذلك الذي أبكاني » ، لكن قال ابن كثير في « البداية » (٢/ ٦٨٤) : غريب ولم يخرجوه .

قلت : وطرف المتن ـ أي : قوله : ونزل عليَّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١١٣] ـ غير ثابت في هٰذا الموضع ، فلا يقوم بها حجة ، والصحة لا تتأتىٰ بمجرّد عدالة الرواة والضبط ، بل يتطلب لها بعد خلوّه من الشذوذ شرط أهم من كل ذلك ، وما لم تتوفر الشروط بأجمعها . . لم يحكم بالصحة وإن كثرت الطرق ، والأمر هنا كذلك ؛ وهو أن الرواية لم تخل من علة قادحة ؛ وهو مجيئها مخالفة لقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، هٰذا علىٰ صحة الحديث ، وإلا . . فالحديث ضعيف ، صرح بضعفه الإمام الجلال السيوطي ، وكذلك ما يبدو في بادىء النظر أنه يعضد تلك الرواية ، ولذا نرى العلامة السيوطي أورد قصة ابني مليكة في « الدر المنثور » (٤/ ٣٠٣) من عدة طرق ، وفيها ما يعضد الرواية التي ذكرها الإمام البيهقي ، ولكنه لم يبال بشيء من ذلك ، بل صرح بضعفها وضعف كل ما فيه دلالة علىٰ عدم نجاتها في « مسالك الحنفا » (٢/ ٢٢٤) فليراجع ثمة .

ومع ذلك لم يعملوا بمقتضاها ، وهٰذه أمارة ظاهرة علىٰ عدم صلوحها للعمل بها ، وأنه ثبت عندهم خلافها ، ولا يجوز نسبةُ كبيرةٍ إلىٰ مسلم من غير تحقيق ، هٰذا في آحاد المسلمين ، فما بالك بأصول الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ؟! كيف يرسل فيهم القول من غير تبين ؟!

وهناك كثير من العلماء ذهبوا إلىٰ طهارة نسب رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من دنس الكفر من لدن آدم إلىٰ أن ظهر عليه السلام من بين أبويه ، وإذا اختلف الأمر . . فمن أين يتأتّى اليقين ، فلا أقل من أن يحفظ المرء لسانه عن الخوض في مثل هٰذا ، وإليه وقعت الإشارة في حديث رواه البيهقي نفسه في « دلائل النبوة » (١/ ١٩١) بإسناده عن عامر بن سعد عن أبيه ، ولفظه : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم فقال : إن أبي كان يصل الرحم ، وكان ، وكان ، فأين هو ؟ قال : « في النار » قال : فكأنّ الأعرابي وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله ؛ فأين أبوك ؟ قال : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » ، قال : فأسلم الأعرابي بعد ، فقال : لقد كلفني رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم تعباً ، ما مررت بقبر كافرٍ إلا بشرته بالنار . قاله الأزهري .

الجنة ولو لم يكن في السابقين الأولين مثل : الصديق ، والفاروق ، وعثمان ، وعلي ، وفاطمة الزهراء ، وعائشة الصديقة ، وغيرهم رضي الله تعالىٰ عنهم .

الآن : معنى الحديث يطابق عقائد أهل السنة بلا تكلف ، وبغير حاجة إلىٰ تأويل أو تصرف ؛ يعني : أنه لو صدر منك هٰذا الفعل . . لم يتيسر لك الدخول في الجنة مع السابقين الأولين ، بل دخلتها حين يدخلها سيِّدنا عبد المطلب ، هٰكذا ينبغي التحقيق ، والله تعالىٰ ولي التوفيق .

الدليل السادس :

أقول : قال ربنا الأعز الأعلىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣] .

في هاتين الآيتين حصر رب العزة جل وعلا العزة والكرم في المؤمنين ، وجعل الكافر ـ مهما كان شريفاً ـ لئيماً وذليلاً ، وكون عزيز وكريم من أولاد لئيم وذليل . . ليس سبباً للمدح ، من أجل هٰذا حرم المباهاة بآباء وجدود كفار .

في الحديث الصحيح : « من انتسب إلىٰ تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وكرماً . . فهو عاشرهم في النار » رواه الإمام أحمد عن أبي ريحانة رضي الله تعالىٰ عنه بسند صحيح[(١)] .

وثبت بأحاديث صحاح مشهورة : أنه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ذكر مراراً آباءه الكرام وأمهاته الكرائم في معرض البيان لفضائله ، وفي موضع الرجز ومدح نفسه يوم حنين ـ لما غلب الكفار بحسب الإرادة الإلهية هُنَيْهَةً ، وبقي

(١) « مسند الإمام أحمد » (٤/ ١٣٤) وغيره .

معه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم عباد معدودون . . طرأت سورة علىٰ رسول غالب لله الغالب ـ كان يقول عند ذلك :

« أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب »

رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن البراء بن عازب رضي الله تعالىٰ عنه[١] .

يهمّ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أن يهجم وحده علىٰ جمع لهٰؤلاء الألوف ، وقد جذب سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالىٰ عنه زمام البغلة الشريفة بإحكام ؛ كيلا تتقدم ويقول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم :

« أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب »

رواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو نعيم عن البراء رضي الله تعالىٰ عنه[٢] .

وأمير المؤمنين عمر الفاروق قد أمسك الزمام ، وسيدنا العباس آخذ بالثفر ، وهو عليه الصلاة والسلام يقول : « قدّماها :

أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب »

رواه ابن عساكر عن مصعب بن شيبة عن أبيه رضي الله تعالىٰ عنه[٣] .

لما دنا الكفار جداً . . نزل صلى الله تعالىٰ عليه وسلم عن البغلة الشريفة وهو إنما يقول :

« أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

اللهم انصر نصرك »

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٤) وغيره ، ومسلم (١٧٧٦) ، وأحمد (٤/ ٢٨١) .
(٢) « المصنف » (٦/ ١٨١) لابن أبي شيبة ، و« حلية الأولياء » (٧/ ١٣٢) لأبي نعيم .
(٣) « تاريخ دمشق » (٢٣/ ٢٥٤) لابن عساكر .

رواه ابن أبي شيبة وابن جرير عن البراء رضي الله تعالىٰ عنه[1] .

ثم أخذ حفنة من تراب ورمىٰ بها نحو الكفار ، وقال : « شاهت الوجوه » ، وأصاب ذلك التراب عيناً من كل واحد من هٰؤلاء الآلاف الكفار ، وصرفت وجوه الجميع .

يقول من تشرف بالإسلام من بينهم : بينما رمىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم إلينا بالحصىٰ . . رأينا كأن جداراً من قطرٍ من السماء إلى الأرض ، وكأن الجبال تدهرج علينا من فوق ، فلم يمكنا إلا الفرار .

وصلى الله تعالىٰ على الحق المبين ، سيد المنصورين ، وآله وبارك وسلم .

في نفس تلك الغزوة قال وهو يرتجز :

« أنا ابن العواتك من سليم »

رواه سعيد بن منصور في « سننه » ، والطبراني في « الكبير » عن سِيَابة بن عاصم رضي الله تعالىٰ عنه[2] .

وفي حديث : قال في بعض الغزوات :

« أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

أنا ابن العواتك »

رواه ابن عساكر عن قتادة[3] .

قال العلامة المناوي صاحب « التيسير » ، والإمام مجد الدين الفيروزآبادي

---

(1) « المصنف » (٨/ ٥٥٠) لابن أبي شيبة ، و« تاريخ الطبري » (٣/ ٧٥) .
(2) « سنن سعيد بن منصور » (٢٨٤١) ، و« المعجم الكبير » (٧/ ١٦٨) .
(3) « تاريخ دمشق » (٣/ ١٠٦) ، و« سنن سعيد بن منصور » (٢٨٤٠) عن قتادة .

صاحب « القاموس » ، والجوهري صاحب « الصحاح » والصاغاني وغيرهم : كان اسم تسع نسوة من جدات النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم عاتكة .

قال ابن البري : كانت اثنتا عشرة امرأة اسمهن عاتكة ، وهن : ثلاثة سلميّات ، واثنتان قرشيتان ، واثنتان عدوانيتان ، وواحدة كنانية ، وواحدة أسدية ، وواحدة هذلية ، وواحدة قضاعية ، وواحدة أزدية . ذكره في « تاج العروس » مادة (عتك) .

قال أبو عبد الله العدوي : كانت تلك النسوة أربعة عشر : ثلاثة قرشيات ، وأربعة سلميات ، واثنتان عدوانيتان ، وهذلية ، وقحطانية ، وقضاعية ، وثقفية ، وأسدية من أسد بني خزيمة . رواه الإمام الجلال السيوطي في « الجامع الكبير » .

وجلي أن القليل لا ينفي الكثير .

ويأتي في الحديث الآتي : أنه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم قال في معرض المدح وبيان مناقبه الكريمة بعد ما انتسب إلىٰ واحد وعشرين أباً : « أنا خير الناس وأفضلهم أباً » صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، فلا بُدَّ - بِحُكْمِ النصوص المذكورة - أن يكون آباؤه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم وأمهاته مؤمنين ، ولله الحمد .

الدليل السابع :

احتجاجه رضي الله عنه لدعواه بالآية

قال : قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾ [هود: ٤٦] ، قطعت الآية الكريمة النسب بين المسلم والكافر ، من أجل هٰذا لا يرث الواحد الآخر .

وفي الحديث : يقول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أُمنا ، ولا ننتفي عن أبينا » رواه أبو داوود الطيالسي ، وابن سعد ، والإمام أحمد ، وابن ماجه ، والحارث ، والباوردي ، وسمويه ، وابن نافع ، والطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم ، والضياء المقدسي في « المختارة » عن الأشعث بن قيس الكندي رضي الله تعالىٰ عنه(١)

النسب من الكفار منتف بحكم أحكم الحاكمين ، فما محل عدم الانتفاء من الآباء ، والعياذ بالله تعالىٰ .

الدليل الثامن والتاسع :

أقول : قال العلي الأعلىٰ تبارك وتعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٥ـ٦] .

وفي الحديث : يقول رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « غفر الله عز وجل لزيد بن عمرو ورحمه ؛ فإنه مات علىٰ دين إبراهيم » رواه البزار

---

(١) أخرجه الضياء في « المختارة » (١٤٨٧) و (١٤٨٨) ، وابن ماجه (٢٦١٢) وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٨٩٧) و (٢٤٢٥) ، وابن المبارك في « مسنده » (١٦١) ، والطيالسي (١٠٤٩) ، وأحمد (٥/ ٢١١ ، ٢١٢) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ٢٣٥) ، والنميري في « أخبار المدينة » (٩٢٣) ، وابن سعد في « الطبقات » (١/ ٢٣) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٧/ ٢٧٤) ، و « الأوسط » (٣٠) ، وابن قانع في « معجم الصحابة » (١٠٠) ، والمزي في « تهذيب الكمال » (٢٠/ ٢٣٨) وأخرجه مطولاً وفيه انتسابه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم والحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص ١٧١) ، ومن طريقه البيهقي في « الدلائل » (١/ ١٧٥) و (١/ ١٧٤) ، ومن طريقه البيهقي ابن عساكر في « تاريخه » (٣/ ٤٧ و٤٨) ، وتمام تخريجه مما ذكره المصنف عند السيوطي في « الجامع الكبير » (٦/ ٣٥٢) ، وفي الباب عن أنس وأبي هريرة والجفشيش رضي الله عنهم .

والطبراني عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله تعالىٰ عنه[1] .

وفي حديثٍ : أن رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم قال في زيد بن عمرو : « رأيته في الجنة يسحب ذيولاً » رواه ابن سعد ، والفاكهي عن عامر بن ربيعة رضي الله تعالىٰ عنه[2] .

وفي الحديث عند البيهقي وابن عساكر بطريق مالك عن الزهري عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه : يقول رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم - وهٰذه رواية البيهقي - : « أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة بن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان ، ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبويّ فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتى انتهيت إلىٰ أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً ، وخيركم أباً »

وفي لفظ : « فأنا خيركم نسباً ، وخيركم أباً »[3] . في هٰذا الحديث أول شيء نفىٰ نفياً عاماً أنه لم يتطرق إلى النسب الأقدس شيء مما كان في عهد الجاهلية ، وكفىٰ هٰذا بنفسه دليلاً ، وحملُ أمر الجاهلية علىٰ خصوص الزنا تخصيصٌ بلا مخصص .

---

(١) أخرجه بلفظه من حديث سعيد بن المسيب : أن عمر وسعيد بن زيد سألا رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم عن زيد بن عمرو ، فذكره ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٣٨١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (١٩/ ٥١٢) ، وأخرجه من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٧٧٤) ، والطيالسي (٢٣٤) ، وأحمد (١/ ١٨٩) ، والبزار (١٢٦٨) ، والطبراني في « الكبير » (١/ ١٥١) .

(٢) أخرجه الفاكهي في « أخبار مكة » (٢٤١٩) ، وابن سعد في « الطبقات » (١/ ٦١) و(٣/ ٣٧٩) ، وابن عساكر في « تاريخه » (١٩/ ٥٠٤) .

(٣) أخرجه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص١٧١) ، ومن طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (١/ ١٧٤و ١٧٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٣/ ٤٧و ٤٨) .

وأما ثانياً : فهو لغو[1] ، حيث نفى الزنا صريحاً متصلاً .

ثالثاً : يقول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « أنا خيركم أباً » ، وفي جميع هٰؤلاء يندرج سيدنا سعيد بن زيد بن عمرو قطعاً ؛ أي : يشمل حكمُ الحديث الجميعَ ، فينسحب حكمه علىٰ سعيد بن زيد بن عمرو ، ويكون أبوه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أفضل من زيد بن عمرو والد سعيد ومن الجميع ، وهٰذا غير جائز بحكم الآية بغير إيمان .

الدليل العاشر :

أقول : قال الله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] .

الآية الكريمة تشهد أن رب العزة عز وعلا يصطفي أعز محل وأكرمه للرسالة ؛ ولذلك لم يجعل الرسالة في السفلة والأراذل ، ثم أيما شيء أرذل وأنجس من الكفر والشرك ؟ وكيف يصلح الكفر أن يودعَ الله سبحانه وتعالىٰ نور الرسالة فيه ؟!

الكفار محل للغضب واللعنة ، وإيداع نور الرسالة يستدعي محل رضاً ورحمة .

ذات يوم غلب علىٰ أم المؤمنين الصديقة عائشة الخوف من الله ، كانت تبكي وتتضرع ، قال لها سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أتحسبين يا أم المؤمنين أن الله سبحانه وتعالىٰ زوج المصطفىٰ جذوة من جهنم ؟) ، قالت أم المؤمنين : (فرَّجت عني فرج الله عنك) .

وفي الحديث نفسه يقول الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « إن الله أبىٰ

(١) أي : حمل أمر الجاهلية علىٰ خصوص الزنا .

لي أن أتزوج أو أزوج إلا من أهل الجنة » رواه ابن عساكر عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه[1] .

إذا كان الله سبحانه وتعالىٰ أبىٰ لحبيبه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم أن يكون أزواجه أهل النار . . فكيف يتصور أن يرضىٰ بإيداع نوره صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في محل الكفر ، أو بتكوُّن خلقه من دم الكفار ؟!

هٰذه دلائل بحمد الله تعالىٰ عشر جلائل ، الأربعة الأول للأئمة الكبار ، والستة الأخيرة نصيب الفقير من فيض القدير ، تلك عشرة كاملة ، والحمد لله في الأولىٰ والآخرة .

* * *

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/ ١٤٩) ، وبنحوه ابن قانع في « معجم الصحابة » (٢١٣٣) .

تنبيهات باهرة

شروع في الجواب وإبانة وجه الصواب ودفع الوهم عما جاء في الحديث من النهي له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم عن الاستغفار لأبويه

شروع في تقوية الاستدلال ودفع الإشكال

الطريق الواضح في الحديث : « أبي وأباك في النار » : أن يراد بالأب أبو طالب ، قال تعالىٰ : ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [الأنعام: ١٣٣] ، وعلىٰ هٰذا المعنىٰ حمل العلماء قوله تعالىٰ : ﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [الأنعام: ٧٤] .

والإجماع من أهل التواريخ وأهل الكتابين مستقر علىٰ أن آزر لم يكن أباً[1] ، وإنما كان عمّاً لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام من الرب الجليل ،

---

(١) ويؤيد ما ذكره الإمام أحمد رضا من الإجماع : ما جاء في « معاني القرآن » للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفىٰ سنة (٢٠٤هـ) ، ونصه كما يلي :

(وقد أجمع أهل النسب علىٰ أنه ـ أي : سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ ابن تارح ، كأن آزر لقب له ، وقد بلغني أن معنىٰ آزر في كلامهم معوج ، كأنه عابه بزيغه ويعوجه عن الحق) انتهىٰ .

أقول : قوله : (كأن آزر لقب له) .. لم يثبت رواية ، بل الظاهر : أن الرواية تنفيه ، لا سيما الرواية التي ورد فيها أنه تارح ، أو تيرح ، جواباً لمن قال : اسم أبي إبراهيم آزر ، ولو ثبت .. لكان السائل أعلم به ، ولنقل إلينا ، والإمام الفراء رضي الله عنه نفسه غير جازم به ، بل هو شاك ؛ ولذلك قال : (كأن آزر لقب) ، ويردّه ما قاله بعد ، وهو قوله : (قد بلغني أن معنىٰ آزر في كلامهم معوج) ، والإمام الفراء يريد بما أبداه من زعمه دفع معارضة الإجماع من أهل النسب لما ورد في التنزيل ، ولا يتم هٰذا إلا إذا تعين كون آزر اسماً لأبي إبراهيم ، وهو غير متحقق ، وفي آزر وجوه : منها : أنه عم إبراهيم عليه السلام ، وتأيد من حيث الرواية ، وهو المراد في قوله تعالىٰ : ﴿ لِأَبِيهِ ﴾ [الأنعام : ٧٤] ، ودلت عليه القرينة من=

والنهي عن الاستغفار لا يدل علىٰ عدم التوحيد ، والعياذ بالله .

وفي صدر الإسلام كان النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يصلي علىٰ جنائز اليهود[1] .

وحاصل ذلك إنما هو الاستغفار .

أقول : في الحديث الصحيح : أن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يتكرر منه الشفاعة ، ويظل يدخل أهل الإيمان بكرمه في الجنان ، وأخيراً يبقىٰ من لا حسنة عنده سوى التوحيد ، فيخر الشفيع المشفع صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ساجداً ، ويقال له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وقل . . تسمع ، وسل . . تعط ، واشفع . . تشفع .

يقول سيد الشافعين صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « يا رب ؛ ائذن لي فيمن قال : لا إلـٰه إلا الله ، يقول رب العزة عز جلاله : ليس ذلك لك ، ولـٰكن ، وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي ؛ لأخرجن منها من قال : لا إلـٰه إلا الله »

= التنزيل كما بيناه بالتفصيل في مقالتنا الملحقة بهـٰذه الرسالة ، وعليه الجمهور .

(١) العبارة في النسخة التي ترجمناها إلى العربية : (لم يكن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يصلي علىٰ جنائز اليهود) بحرف النفي ، وعبارته بالهندية : (صدر إسلام مين سيد عالم صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يهوديون كىٰ جنازىٰ پرنمازنه برهتي) ، والظاهر : أن حرف النفي مقحم بتصرف الناسخ ، والسياق يقتضي الإيجاب ، فحق العبارة : كما أثبت ثم إني لم أقف علىٰ تصريح بأنه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم كان يصلي علىٰ جنائز اليهود في بدء الإسلام بعد طول البحث .

نعم ؛ يمكن أن يؤخذ هـٰذا مما قاله العيني في « شرحه علىٰ صحيح البخاري » ونصه : (في « النوادر » عن ابن سيرين : ما حرم الله الصلاة علىٰ أحد من أهل القبلة إلا علىٰ ثمانية عشر رجلاً من المنافقين) « عمدة القاري علىٰ صحيح البخاري » (٨/ ١٩٣) [ويكون المعنىٰ ـ و الله أعلم ـ علىٰ حذف لم : أنه إذا حصل منه الاستغفار أول الأمر علىٰ بعض يهود ، ولن يفيدهم الاستغفار ، فبالتالي لا اعتبار لمنعه من الاستغفار لأبويه في الاستدلال علىٰ عدم نجاتهما ، بل كما أن استغفاره الحاصل لبعض اليهود لن ينفعهم ، فكذلك منعه من الاستغفار لوالديه لا يفهم منه ضررهم وعدم نجاتهم ، والله أعلم]. زيادة يقتضيها السياق . اهـ الناشر .

رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه[١] .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٦) ولفظ مسلم : « إذا كان يوم القيامة . . ماج الناس بعضهم إلىٰ بعض ، فيأتون آدم فيقولون له : اشفع لذريتك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسىٰ عليه السلام ؛ فإنه كليم الله ، فيؤتىٰ موسىٰ ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسىٰ عليه السلام ؛ فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتىٰ عيسىٰ ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، فأوتىٰ ، فأقول : أنا لها ، فأنطلق فأستأذن علىٰ ربي ، فيؤذن لي ؛ فأقوم بين يديه ، فأحمد بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ، ثم أخرّ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وقل . . يسمع لك ، وسل . . تعطه ، واشفع . . تشفع ، فأقول : رب ؛ أمتي أمتي ، فيقال : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان . . فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلىٰ ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخِر له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وقل . . يسمع لك ، وسل . . تعطه ، واشفع . . تشفع ، فأقول : أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . . فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلىٰ ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وقل . . يسمع لك ، وسل . . تعطه ، واشفع . . تشفع ، فأقول : يا رب ؛ أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه أدنىٰ أدنىٰ أدنىٰ من مثقال حبة من خردل من إيمان . . فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل » هـٰذا حديث أنس الذي أنبأنا به ، فخرجنا من عنده ، فلما كنا بظهر الجَبَّان . . قلنا : لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه ـ وهو مستخفٍ في دار أبي خليفة ـ قال : فدخلنا عليه ، فسلمنا عليه ، فقلنا : يا أبا سعيد ؛ جئنا من عند أخيك أبي حمزة ، فلم نسمع مثل حديث حدثناه في الشفاعة ، قال : هيه ، فحدثناه الحديث ، فقال : هيه ، قلنا : ما زادنا ، قال : قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذٍ جميعٌ ، ولقد ترك شيئاً ، ما أدري أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا ! قلنا له : حدثنا ، فضحك وقال : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ما ذكرت لكم هـٰذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه : « ثم أرجع إلىٰ ربي في الرابعة ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، وقل . . يسمع لك ، وسل . . تعط ، واشفع . . تشفع ، فأقول : يا رب ؛ ائذن لي فيمن قال : لا إلـٰه إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ـ أو قال : ليس ذلك إليك ـ ولـٰكن ، وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي ؛ لأخرجن من قال : لا إلـٰه إلا الله » قال : فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك ـ أُراه قال ـ قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميعٌ .

وفي الباب عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عند الشيخين .

والحمد لله ، وصلى الله تعالىٰ على الشفيع الرفيع وآله ، وبارك وسلم .

توفي الأبوان الكريمان قبل الإسلام ، فعند ذلك إنما كانا أهل توحيد وأهل لا إلـه إلا الله ، فالنهي من قبيل : (ليس ذلك لك) وبعد ذلك أحياهما الله تعالىٰ كما أحيا أصحاب الكهف ؛ تماماً للنعمة عليه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، فآمنا به صلى الله تعالىٰ عليه وسلم وارتاحا بعد ما تشرفا بالصحبة .

وهـٰذا الإحياء من أجل الحكمة الإلهية وقع في حجة الوداع حيث تم نزول القرآن ، وأُتمَّ الدين الإلهي وأكملته آية : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ [المائدة: ٣] حتىٰ يقع إيمانهما بالدين كله وبالشريعة بأكلمها[(١)] .

شروع في الجواب عن الإشكال
في حديث إحياء أبويه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم

حديث الإحياء غاية ما فيه الضعف كما حققه خاتم الحفاظ الجلال السيوطي[(٢)] (**ولا عطر بعد عروس**) ، والحديث الضعيف في الفضائل مقبول كما حققناه بما لا مزيد عليه في رسالتنا « الهاد الكاف في حكم الضعاف » بل قال الإمام ابن حجر المكي : صححه حفاظ عدة ، يقول في « أفضل القِرىٰ لقراء أم القرىٰ » : (إن آباء النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم غيرَ الأنبياء وأمهاتِه إلىٰ آدم وحواء . . ليس فيهم كافر ؛ لأن الكافر لا يقال في حقه : إنه

---

(١) عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت : حج رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم حجة الوداع ، فمر علىٰ عقبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتم ، فبكيت لبكائه ، ثم إنه طفق [أي : شرع] يقول : « يا حميراء ؛ استمسكي » فاستندت إلىٰ جنب البعير ، فمكث عني طويلاً ، ثم عاد إلي وهو فرحٍ متبسم ، فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؛ نزلت من عندي وأنت باكٍ حزين مغتم ، فبكيت لبكائك ، ثم إنك عدت إليّ وأنت فرِح متبسم! فمم ذاك ؟ قال : « ذهبت لقبر أمي سألت ربي أن يحييها ، فأحياها فآمنت وردها الله تعالىٰ » . « السيرة الحلبية » (١/ ١٧٣) .

(٢) « الحاوي للفتاوي » في (مسالك الحنفا) (٢/ ٢٣٠) .

مختار ولا كريم وطاهر ، بل نجس ، وقد صرحت الأحاديث بأنهم مختارون ، وأن الآباء كرام والأمهات طاهرات ، وأيضاً قال تعالىٰ : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩] علىٰ أحد التفاسير فيه : أن المراد تنقل نوره من ساجد إلىٰ ساجد ، وحينئذ : فهٰذا صريح في أن أبوي النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم آمنة وعبد الله من أهل الجنة ؛ لأنهما أقرب المختارين له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، وهٰذا هو الحق ، بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ، ولم يلتفتوا لمن طعن فيه : أن الله تعالىٰ أحياهما فآمنا به . . . إلخ)[1] نقلته مختصراً ، وفيه طول ، هٰكذا قال ، والله تعالىٰ أعلم .

أقول : وبما قرّر [من] أمر الإحياء . . اندفع ما زعم الحافظ ابن دحية من مخالفته لآيات عدم انتفاع الكافر بعد موته ، كيف ؟! وإنا لا نقول : إن الإحياء لإحداث إيمان بعد كفر ، بل لإعطاء الإيمان بمحمد صلى الله تعالىٰ عليه وسلم وتفاصيل دينه الأكرم بعد المضي علىٰ محض التوحيد ، وحينئذٍ لا حاجة بنا إلى ادعاء التخصيص في الآيات كما فعل العلماء المجيبون ، ومنهجنا في هٰذا الباب كما قال الشاعر : [من الطويل]

ومن مذهبي حب الديار لأهلها وللنـاس فيمـا يعشقـون مـذاهـب

من أحب هٰذا . . فبها ونعمت ، وإلا . . فلا أقلَّ من أن يكف اللسان ، ويطهر الجنان ، ويخشى الوعيد من قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

يقول الإمام ابن حجر المكي في « شرحه » : (ما أحسن قول المتوقفين في هٰذه المسألة : الحذر الحذر من ذكرهما بنقص ؛ فإن ذلك قد يؤذيه صلى الله

(١) « المنح المكية في شرح الهمزية » (ص١٠٠) .

تعالىٰ عليه وسلم ؛ لخبر الطبراني : « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات »[1] .

يعني : أن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم حي إلى الأبد مطلع علىٰ جميع أفعالنا وأقوالنا[2] .

والله سبحانه وتعالىٰ عز وجل يقول : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] ، والعاقل حريٌّ بأن يحتاط في مثل هـٰذا المحل جداً .

سلّمنا أن المسألة ليست قطعية ولا إجماعية ، ولـٰكن أيّ قاطع وأيّ إجماع في ذلك الجانب (المخالف) ، لأن يخطىء المرء في الأدب . . خير مئة ألف مرة من أن يؤدي به خطأه إلىٰ إساءة الأدب كما ورد في الحديث :

إن رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يقول : « إن الإمام لأن يخطىء في العفو . . خير من أن يخطىء في العقوبة » رواه ابن أبي شيبة والترمذي والحاكم وصححه ، والبيهقي عن أم المؤمنين رضي الله تعالىٰ عنها[3] .

يقول الإمام حجة الإسلام الغزالي قدس سره العالي في « إحياء العلوم » : (ولأنه لا يجوز نسبة مسلم إلىٰ كبيرة من غير تحقيق ما لم يثبت عن تواتر)[4] .

---

(١) « المعجم الأوسط » (٤٢٧٧) وانظر « البيان والتعريف » (٢/ ٢٧٧) فأصل الحديث عند الحاكم وأحمد وغيرهما . وانظر « أفضل القِرىٰ لقراء أم القرىٰ » (ص١٠٣) و« المواهب اللدنية » (١/ ٣٦) .

(٢) وهـٰذا شرح لطيف منه لعبارة ابن حجر ، يتضح به وجه إيراده للحديث في معرض الاستدلال .

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٨٤) ، والترمذي (١٤٢٤) ، والدارقطني (٣/ ٨٤) ، والبيهقي في « السنن » (٨/ ٢٣٨) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٨٦٩٨) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦/ ٥١٦) ، وغيرهم عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٤) « إحياء علوم الدين » (٣/ ١٢٥) ، وتمام عبارته : (لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلىٰ كبيرة من غير تحقيق ، نعم ؛ يجوز أن يقال : قتل ابن ملجم علياً ، وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه ، فإنه ثبت متواتراً ، فلا يجوز أن يرمىٰ مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق ، قال صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ، ولا يرميه بالفسق . . إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك ») .

فكيف ينسب إلى المصطفىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم كونُه من أولاد فلان وفلان من غير تواتر ومن غير قطع ؟! وانتفاء اليقين باللسان غير ناف لحكم الوجدان ، أيرضىٰ وجدانكم أن يكون كلابُ أدنىٰ عبيدِ حضرةِ المصطفى المشرفة في جنات النعيم متكئين علىٰ سرر مرفوعة متنعمين ، ومن خلقت الجنة من أجله يكون أبواه في مقام آخر في غضب وعذاب ؟! عياذاً بالله .

نعم ؛ صحيح أنّا لا نستطيع أن نحكم على الغني الحميد عز جلاله ، فأي شيء سوغ حكماً آخر ؟! وأي دليل قاطع في هٰذا الجانب ؟!

حاشا لله! هل من حديث صحيح ؟ كلا ، ولا صريح ، وما صح ليس بصريح أبداً .

فما أشرنا إليه إجمالاً هو السبيل من السكوت وحفظ جانبه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم بالأدب على الأقل ، وبعد فالاختيار بيد المختار .

* * *

نكتة إلـٰهية

وتمهيده رضي الله عنه لاستدلال لطيف بإيراد بعض الأحاديث في فضل الاسم الحسن ، وسرده لأسماء أجداده وجداته ومراضعه وملعباته صلى الله تعالىٰ عليه وسلم

قال رضي الله عنه :

أقول : الظاهر عنوان الباطن ، والاسم مرآة المسمىٰ ، والأسماء تنزل من السماء .

ويقول الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « إذا بعثتم إليّ رجلاً . . فابعثوه حسنَ الوجه حسنَ الاسم » رواه البزار في « مسنده » ، والطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه بسند حسن على الأصح[1] .

يقول الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « اعتبروا الأرض بأسمائها » رواه ابن عدي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه ، وهو حسن لشواهده[2] .

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه : (كان رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير ، وكان يحب الاسم الحسن) رواه الإمام أحمد ، والطبراني ، والبغوي في « شرح السنة »[3] .

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البغوي في « شرح السنة » (٣٣٦٠) ، والبزار كما في « مجمع الزوائد » (٨/ ٥٠) ، والطبراني في « الأوسط » (٧٧٤٣) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١/ ١٩٣) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٣/ ٩٠٣) ، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما ابن عدي في « الكامل » (٤/ ١٠٧) .

(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » (٨٨٩٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٢/ ١٦٣) ، وابن حجر في « الأمالي المطلقة » (١/ ١٥٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً ! .

(٣) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ابن حبان في « صحيحه » (٥٨٢٥) ، =

تقول أم المؤمنين الصديقة رضي الله تعالىٰ عنها : (إن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم كان يغير الاسم القبيح) رواه الترمذي[١] .

وفي أخرىٰ عنها : (كان رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم إذا سمع بالاسم القبيح . . حوّله إلىٰ ما هو أحسن منه) رواه الطبراني بسند صحيح[٢] ، وهو عند ابن سعد عن عروة مرسلاً[٣] .

وقال بريدة الأسلمي : (إن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم كان لا يتطير من شيء ، فإذا بعث عاملاً . . سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه اسمه . . فرح به ، ورُئي بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه . . رئي كراهية ذلك في وجهه ، وإذا دخل قرية . . سأل عن اسمها ، فإن أعجبه اسمها . . فرح به ورئي بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها . . رئي كراهية ذلك في وجهه) رواه أبو داوود[٤] .

الآن لاحظْ هنيهة بعينٍ تبصرُ الحق الألطافَ الخفية من المراعاة الإلهية للحبيب صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ؛ إن اسم أبي النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم عبد الله الذي هو أفضل أسماء الأمة .

يقول الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « إن أحب أسمائكم إلى الله :

= والطيالسي (٢٦٩٠) ، وأحمد (١/٢٥٧ ، و٣٠٣ ، و٣١٩) ، والطبراني في « الكبير » (١١/١١٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/٢٥٥) .

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٣٩) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/٤٥) ، وذكر الترمذي عمن روى احتمال كونه عن عروة مرسلاً .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٢٧٨٧) ، و« الصغير » (١/١٢٦) والخطيب في « تاريخه » (٧/٣٨٠) ، وأخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البغوي في « شرح السنة » (٣٣٧٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٥/٤٥) .

(٣) « طبقات ابن سعد » (٣/٥٤١) .

(٤) أخرجه ابن حبان (٥٨٢٧) ، وأبو داوود (٣٩٢٠) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨٧٧١) ، والبيهقي في « السنن » (٨/١٤٠) ، و« الشعب » (١١٢٧) ، وأحمد (٥/٣٤٨) وابن عساكر في « تاريخه » (٦/٧٧) .

عبد الله وعبد الرحمٰن » رواه مسلم ، وأبو داوود ، والترمذي ، وابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما[1] .

واسم الوالدة الماجدة رضي الله تعالىٰ عنها (آمنة) مشتق من الأمن والأمان ، ومساوق للإيمان في الاشتقاق .

والجد الأمجد كان (عبد المطلب شيبة الحمد) حيث كانت إشارة إلىٰ تولد الأزكى الأطهر أحمد ومحمد وحامد ومحمود المشتق من هٰذا المصدر الزكي الحميد .

والجدة الماجدة : (فاطمة بنت عمرو بن عائذ) مزية هٰذا الاسم الطاهر أظهر من الشمس ؛ في الحديث جاء وجه تسمية بتول الزهراء بأن قال الرسول صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « إنما سماها فاطمة ؛ لأن الله تعالىٰ فطمها ومحبيها من النار » رواه الخطيب عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما[2] .

وجَدُّ النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من قِبَل الأم (وهب) معناه : الهبة والعطاء ، وقبيلته بنو زهرة ، حاصلها اللمعان .

وجدته من قِبَل الأم (برة) أي : الصالحة ، كما ذكر ابن هشام في « سيرته »[3] .

هٰؤلاء الأصول الخاصة ، وانظروا المراضع :

ـ المرضعة الأولىٰ : ثويبة حيث يساوق اسمها الثواب في الاشتقاق ، ولها الحظ الأوفر من هٰذا الفضل الإلهي .

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٢) ، وأبو داوود (٤٩٤٩) ، والترمذي (٢٨٣٣) و (٢٨٣٤) ، وابن ماجه (٣٧٢٨) ، وغيرهم .

(٢) أخرجه ابن جميع في « معجم شيوخه » (١/٣٥٩) ، ومن طريقه الخطيب في « تاريخه » (١٢/٣٢٨) ، وانظر « تنزيه الشريعة » (١/٤١٢) .

(٣) « سيرة ابن هشام » (١/١٥٦) .

ـ المرضعة الثانية : السيدة حليمة بنت عبد الله بن حارث ، قال النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم لأشجِّ عبد القيس : « إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة »[1] .

قبيلتها : بنو سعد ، معناه : السعادة ؛ تشرفت بشرف الإسلام والصحبة ؛ كما بينه الإمام مغلطاي في جزء حافل سماه : « التحفة الجسيمة في إثبات إسلام حليمة » .

لما أتته صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يوم حنين . . قام وبسط لها رداءه ؛ كما في « الإستيعاب » عن عطاء بن يسار[2] .

زوجها الذي هو صاحب لبن المرضعة وأبوه صلى الله تعالىٰ عليه وآله وسلم في الرضاعة اسمه : الحارث السعدي ، هـٰذا أيضاً تشرف بشرف الإسلام والصحبة ؛ وقد جاء إلى النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يزوره ، قالت له قريش في الطريق : يا حارث ؛ اسمع مقالة ابنك ؛ يقول : « الموتىٰ مبعوثون ، والله أعدّ دارين : جنة وناراً » ، قال بعد ما أتاه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : يا بني ؛ قومك يشكونك! قال : « أجل ، أنا أقول كذلك ، ويا أبتي ؛ إذا كان ذلك اليوم . . لأنبئنّك آخذاً بيدك أقول : انظر ، أليس هـٰذا ذلك

---

(١) أخرجه مسلم (١٧) و (١٨) ، وابن حبان (٤٥٤١) و (٧٢٠٤) ، وأبو داوود (٥٢٢٥) ، والترمذي (٢٠١١) ، وغيرهم .

(٢) قال في « الإستيعاب » (٤/ ٢٦٢) : روىٰ زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال : (جاءت حليمة بنت عبد الله أم النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من الرضاعة عليه يوم حنين ، فقام إليها وبسط لها رداءه ، فجلست عليه) . وجاء من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه عند ابن حبان (٤٢٣٢) ، والحاكم (٤/ ١٦٤) ، والضياء في « المختارة » (٨/ ٢١٨) ، وأبو داوود (٥١٤٤) ، وأبو يعلىٰ (٩٠٠) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١٢٩٥) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢١٢) و (٢١٣) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٢٦/ ١١٥) .

اليوم الذي كنت أخبر عنه » يعني : يومَ القيامة ، وكان الحارث يذكر مقالته تلك ويقول : لئن أخذ ابني بيدي.. لا يرسلها إن شاء الله حتىٰ يدخلني الجنة . رواه يونس بن بكير[1] .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم قال : « أصدقها حارث وهمام » رواه البخاري في « الأدب المفرد » ، وأبو داوود ، والنسائي عن أبي وهب الجُشَمي رضي الله تعالىٰ عنه[2] .

أخوه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من الرضاعة الذي كان شريكه في الثدي ، وكان صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يدع له الثدي الأيسر ، عبد الله السعدي ، هٰذا أيضاً تشرف بالإسلام والصحبة ، كما عند ابن سعد في مرسل صحيح الإسناد[3] .

أخته صلى الله تعالىٰ عليه وسلم الكبرى الرضاعية التي كانت تلهيه صلى الله

---

(١) الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي ، يكنىٰ أبا ذؤيب ، أدرك الإسلام وأسلم . رواه يونس بن بكير ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، حدثني والدي عن رجال من بني سعد بن بكر قالوا : قدم الحارث أبو رسول الله من الرضاعة عليه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش : ألا تسمع يا حارث ما يقول ابنك ؟ قال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يبعث مَنْ في القبور ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه ، فقد شتت أمرنا ، وفرق جماعتنا ، فأتىٰ فقال : أي بني ؛ ما لك ولقومك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلىٰ جنة ونار ؟ فقال صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : « أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت.. لقد أخذت بيدك حتىٰ أعرفك حديثك اليوم » ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لو أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال.. لا يرسلني إن شاء الله حتىٰ يدخلني الجنة . « الزرقاني على المواهب » (١/ ١٤٢) وجاء عند ابن سعد في « الطبقات » (١/ ١١٣) : أن ذلك كان لأخيه من الرضاع ، ذكر الحافظ في « الإصابة » (١/ ٢٨٢) : أنه يحتمل أن يكون ذلك وقع للأب والابن .

(٢) أخرجه أبو داوود (٤٩٥٠) ، والبيهقي في « السنن » (٩/ ٣٠٦) ، وأحمد (٤/ ٣٤٥) ، وأبو يعلىٰ (٧١٦٩) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١٨١٤) ، وغيرهم .

(٣) « طبقات ابن سعد » (١/ ١١٣) .

تعالىٰ عليه وسلم في الحجر ، وكانت تنشد أشعاراً تشتمل على الدعاء وهي مضجعة له علىٰ صدرها ، من أجل ذلك دعيت أم النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، وهي شيماء السعدية ؛ يعني ذات علم وأمارة تظهر وتلوح من بعيد ، هـٰذه أيضاً تشرفت بالإسلام والصحبة رضي الله تعالىٰ عنها .

ذات يوم كانت السيدة حليمة تنطلق وقد احتضنت النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في حجرها ، إذا ثلاث شوابّ عذارىٰ أبصرن ذلك الشكل الرضي عند الله ، وضعن ثديهن في فمه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم من فرط المحبة ، نزل اللبن للثلاث ، تسمىٰ كل واحدة منهن : عاتكة ـ ومعنى العاتكة : المرأة النبيلة الكريمة المعطرة ـ كن من سليم ، وهو مشتق من سلامة ، ومساوق للإسلام في الاشتقاق . ذكره ابن عبد البر في « الإستيعاب »[1] .

علىٰ هـٰذا المعنىٰ حمل بعض العلماء حديث : « أنا ابن العواتك من سليم » نقله السهيلي .

أقول : الحقيقة : ما فاز نبي بآية وكرامة إلا وأعطي نبينا صلى الله تعالىٰ عليه وسلم مثلها وأمثل منها ، كان هـٰذا تكميلاً لتلك المرتبة ، حيث أوجد المسيح عليه السلام من غير أب من بطن البتول البكر ، وأوجد اللبن في ثديّ ثلاث جوار أبكار ؛ كرامة لحبيبه الذي هو أشرف برية الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم .

يقول الإمام أبو بكر ابن العربي : لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت . ذكره في كتابه « سراج المريدين » .

أرأيت هـٰذا الإرضاع ، أليس فيه الجزئية؟!

المرضعة الثالثة لرسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : اسمها بركة ،

---

(١) « الإستيعاب » (٢/١٢٨) في ترجمة سبابة بن عاصم رضي الله عنه .

وتكنىٰ : أم أيمن ، تنبىء هاتان الكلمتان عن اليُمن والبركة والاستقامة والقوة ، كانت من الصحابيات الجليلات ، رضي الله تعالىٰ عنها .

كان النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم يقول لها : « أنت أمي بعد أمي »[(١)] كرامةً لأم أيمن .

ظمئت في مهاجرها ، نزل دلو بحبل نوراني من السماء ، فشربت ورويت ، ثم لم تحس بالعطش قط ، كانت تصوم في شدة الحر ولا تظمأ . رواه ابن سعد عن عثمان بن القاسم[(٢)] .

وقابلته صلى الله تعالىٰ عليه وسلم حين ولادته تأمّل اسمها : شفاء . رواه أبو نعيم عنهما[(٣)] .

وهي أمّ سيدنا عبد الرحمـٰن بن عوف ، الصحابية الجليلة رضي الله تعالىٰ عنهما .

وامرأة كانت شاهدة عند مولده صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : فاطمة بنت عبد الله الثقفية ، هـٰذه أيضاً صحابية رضي الله تعالىٰ عنها .

يا عين الإنصاف ؛ هل كان اجتماع هـٰذه الأسامي الطاهرة المباركة في كل نسبة وعلاقة محض صدفة ؟! كلا والله ، بل العناية الأزلية تعمدت هـٰذه الأسماء ، وانتخبت هـٰذه الأشخاص .

ثم هـٰهنا محل للتأمّل ، أفمن يُجنب هـٰذا النور الطاهر ذوي الأسماء القبيحة يضعه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في المرتكبين الأعمال القبيحة ؟! وأي فعل قبيح ؟! الكفر والشرك ، معاذ الله ، حاشا ثم حاشا ، القابلات

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في « الإستيعاب » (٤/ ٢٤٣ـ ٢٤٤) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٨/ ٥١) .

(٢) « طبقات ابن سعد » (٨/ ٢٢٣) .

(٣) «دلائل النبوة » لأبي نعيم (٧٧) .

مسلمات ، الملعبات مسلمات ، أما بطون مد فيها محمد صلى الله تعالىٰ عليه وسلم رجله ، ودماء طيبة مطيبة حصلت منها أجزاء في هٰذا الجسم النوراني . . فأولئك كذا وكذا ؛ أي : كفرة ومشركون ، كيف يقبل هٰذا ؟! حاشا لله .

خوا ديكها نهي قدرت سي جانا

ما بندة عشقيم وذكر ، هيچ ندا نيم

ما رأينا الله ، عرفناه بالقدرة ، نحن عبيد العشق ، لا نعرف شيئاً سواه .

فائدة ظاهرة باهرة

هٰذه الطريقة الأنيقة ؛ أعني نجاة الأبوين الكريمين ، التي توخيناها علىٰ تنوع المسالك هي المختارة عند كبار الأئمة الأجلة ، والعلماء المشهورين بتوفيقه تعالىٰ .

* * *

فهرس أسامي الأئمة الكبار والعلماء الأخيار
الذين صنفوا في هٰذا الباب

منهم :

١ـ الإمام أبو بكر ابن أحمد بن شاهين ، له مؤلفات في العلوم الدينية ثلاث وثلاثون ، منها مؤلف في التفسير في ألف جزء ، و« مسند » في الحديث في ألف جزء وثلاثة أجزاء .

٢ـ شيخ المحدثين أحمد بن الخطيب علي البغدادي .

٣ـ حافظ الشأن ، المحدث الباهر ، الإمام القاسم علي بن حسن ابن عساكر .

٤ـ الإمام الأجل أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله السهيلي ، صاحب « الروض » .

٥ـ حافظ الحديث ، الإمام محب الدين الطبري ، قال العلماء : لم يكن بعد الإمام النووي أحد مثله في الحديث .

٦ـ الإمام العلامة ناصر الدين ابن المنير ، صاحب « شرف المصطفىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم » .

٧ـ الإمام حافظ الحديث أبو الفتح محمد ابن سيد الناس ، صاحب « عيون الأثر » .

٨ـ العلامة صلاح الدين الصفدي .

٩ـ حافظ الشأن ، شمس الدين محمد ابن ناصر الدين الدمشقي .

١٠ـ شيخ الإسلام ، حافظ الشان ، الإمام شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني .

١١ـ الإمام حافظ الحديث أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي ابن العربي المالكي .

١٢ـ الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي البصري ، صاحب « الحاوي الكبير » .

١٣ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن خلف الأُبِّي المالكي ، شارح « صحيح مسلم » .

١٤ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ، صاحب « التذكرة » .

١٥ـ إمام المتكلمين ، فخر المدققين ، فخر الدين محمد بن عمر الرازي .

١٦ـ الإمام العلامة شرف الدين المُناوي .

١٧ـ خاتم الحفاظ ، مجدد القرن العاشر ، الإمام جلال الملة والدين عبد الرحمٰن ابن أبي بكر السيوطي .

١٨ـ الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي المكي ، صاحب « أفضل القِرىٰ » وغيره .

١٩ـ الشيخ نور الدين علي بن الجزار المصري ، صاحب رسالة « تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، بفضل الله تعالىٰ في الدارين من الناجين من النار »

٢٠ـ العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي الشريف الحسني التلمساني ، شارح « شفاء الشريف » .

٢١ـ العلامة المحقق السنوسي .

٢٢ـ الإمام الأجل العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني ، صاحب « اليواقيت والجواهر » .

٢٣ـ العلامة أحمد بن علي بن يوسف الفاسي ، صاحب « مطالع المسرات في شرح دلائل الخيرات » .

٢٤ـ خاتمة المحققين العلامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني ، شارح « المواهب » .

٢٥ـ الإمام الأجل ، الفقيه الأكمل ، محمد الكردري البزازي ، صاحب « المناقب » .

٢٦ـ زين الفقه العلامة المحقق زين بن نجيم المصري ، صاحب « الأشباه والنظائر » .

٢٧ـ السيد الشريف العلامة أحمد الحموي ، صاحب « غمز العيون والبصائر » .

٢٨ـ العلامة حسين بن محمد بن حسن الديار بكري ، صاحب « تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس صلى الله تعالىٰ عليه وسلم » .

٢٩ـ العلامة المحقق شهاب الدين أحمد الخفاجي المصري ، صاحب « نسيم الرياض » .

٣٠ـ العلامة طاهر فتني ، صاحب « مجمع بحار الأنوار » .

٣١ـ شيخ شيوخ علماء الهند مولانا عبد الحق المحدث الدهلوي .

٣٢ـ العلامة صاحب « كنز الفوائد » .

٣٣ـ مولانا بحر العلوم ، ملك العلماء ، عبد العلي ، صاحب « فواتح الرحموت » .

٣٤ـ العلامة السيد أحمد المصري الطحطاوي ، محشي « الدر المختار » .

٣٥ـ العلامة السيد ابن عابدين أمين الدين محمد أفندي الشامي ، صاحب « رد المحتار » .

وغيرهم من العلماء الكبار والمحققين الأخيار ، عليهم رحمة الملك العزيز الغفار .

الأقوال الطيبة لجميع هٰؤلاء السادة بمرأىً من الفقير ، ولٰكن الفقير لم يحرر هٰذه السطور لمجرد نقل الأقوال ، ولا لإيراد مباحث قررها العلماء العظام ، ولا سيما الإمام الجليل الجلال السيوطي ، بل القصد إسماع دلائل جميلة علىٰ هٰذه المسألة الجليلة ، وضبط ما فاض علىٰ قلب الفقير من أجل خدمة العلماء لنفع الإخوة في الإسلام ، لعل المصطفىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم الأكرم الأرحم الأبر الأوفىٰ يلقي إليها بمحض كرمه نظرة قبول ، وينجي العاجز المسكين بحفظ عقيدته من العذاب والعقاب في الدارين ؛ فضلاً منه محضاً لا جزاءً .

ثم إن هٰذا ذكر أولٰئك الأكابر الذين وجدت تصريحاتهم في هٰذه المسألة الجزئية خاصة ، وإلا . . فإن لاحظت الكلية . . فهناك نصوص قاهرة للإمام حجة الإسلام محمد محمد محمد الغزالي ، والإمام الأجل إمام الحرمين ، والإمام ابن السمعاني ، والإمام إلكيا الهرّاسي ، والإمام الأجل القاضي أبو بكر الباقلاني ، وهلم جراً إلى الإمام المجتهد سيدنا الإمام الشافعي ، يتحقق منها ويتجلىٰ أن نجاة جميع الآباء والأمهات الزكية كالشمس والأمس ، بل هٰذا هو مقتضىٰ مذهب جميع الأشاعرة ومشايخ بخارىٰ من الأئمة الماتريدية كما لا يخفىٰ علىٰ من له إجالة نظر في علم الأصوليين .

والإمام السيوطي في « سبل النجاة » مال إلىٰ أن الله تعالىٰ أحياهما حتىٰ آمنا به ، ذكر ذلك طائفةٌ من الأئمة وحفاظ الحديث .

قال في كتاب « الخميس » نقلاً عن كتاب « الدرج المنيفة في الآباء الشريفة » : (ذهب جمع كثير من الأئمة الأعلام إلىٰ أن أبوي النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ناجيان ، محكوم لهما بالنجاة في الآخرة ، وهم أعلم الناس بأقوال من خالفهم وقال بغير ذلك ، ولا يقصرون عنهم في الدرجة ، ومن أحفظ الناس للأحاديث والآثار ، وأنقد الناس للأدلة التي استدل بها أولـٰئك ، فإنهم جامعون لأنواع العلوم ، ومتضلعون من الفنون ، خصوصاً الأربعة التي استمد منها هـٰذه المسألة ، [فإنها مبنية علىٰ ثلاث قواعد كلامية وأصولية وفقهية وقاعدة رابعة مشتركة بين الحديث وأصول الفقه مع ما يُحتاج إليه من سعة الحفظ في الحديث وصحة النقل له وطول الباع في الاطلاع علىٰ ما تقول الأئمة وجمع متفرقات كلامهم][1] ، فلا تظن بهم أنهم لم يقفوا على الأحاديث التي استدل بها أولـٰئك ، معاذ الله ، بل وقفوا عليها ، وخاضوا غمرتها ، وأجابوا عنها بالأجوبة المرضية التي لا يردها منصف ، وأقاموا لما ذهبوا إليه أدلة قاطعة كالجبال الرواسي) اهـ مختصراً[2] .

بل قال العلامة الزرقاني في « شرح المواهب » بعد ما نقل أقوال القائلين بالنجاة : (هـٰذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ، ولم نر لغيرهم ما يخالفه إلا ما يشم من نفس ابن دحية ، وقد تكفَّل بردِّه القرطبي ، والأمر ما قال الإمام الجليل الجلال السيوطي : ثم إنِّي لم أدَّعِ أن المسألة إجماعية ، بل هي مسألة ذات خلاف ، حكمها كحكم سائر المسائل المختلف فيها ، غير أني اخترت أقوال القائلين بالنجاة ؛ لأنه الأنسب بهـٰذا المقام) اهـ

وقال في « الدرج » بعد ما درج واندرج في الدرج : (الفريقان أئمة أكابر

(١) زيادة يقتضيها السياق . اهـ الناشر .

(٢) « تاريخ الخميس » (١/ ٢٣٠) نقلاً عن السيوطي في « الدرج المنيفة » .

أجلاء) ، [كذا في « تاريخ الخميس »][1] ، والتحقيق : أن طالب التحقيق مرهون بيد الدليل ، وما ظهر لبعض الأنظار من ظواهر بعض الآثار في البدء [ما] كان ظاهراً[2] ، حيث أجيب عنها بأجوبة شافية ، وأقيمت عليها دلائل وافية ، فلا محيل عن القبول والتسليم ، أو السكوت والتعظيم على الأقل ، والله الهادي إلىٰ صراط مستقيم .

عائدة ظاهرة :

أخرج الإمام أبو نعيم في « دلائل النبوة » من طريق محمد ابن شهاب الزهري ، عن أم سماعة أسماء بنت أبي رهم ، عن أمها : شهدت آمنة أم رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم في علتها التي ماتت فيها ، ومحمد غلام يفع له خمس سنين عند رأسها ، فنظرت إلىٰ وجهه ثم قالت : [من الرجز]

بارك فيك الله من غلام ... يا بن الذي من حومة الحِمَام
نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام
بمئة من إبل السوام ... إن صح ما بصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام ... فالله أنهاك عن الأصنام

ألا تواليها مع الأقوام[3]

إن في هـٰذه الوصية لابنها الكريم عند مفارقتها للدنيا توحيداً ورداً للشرك ، متجلياً بحمد الله تعالىٰ كالشمس ، ومع هـٰذا إقرار تام بدين الإسلام ، وملة

(١) « تاريخ الخميس » (١/ ٢٣٠) .
(٢) العبارة في النسخة الهندية : (كان ظاهراً) بغير حرف النفي ، ولـٰكن المقام يقتضي أن تكون العبارة : بحرف النفي كما أثبت ، ولعله سقط حرف النفي من قلم الناسخ .
(٣) « الحاوي للفتاوي » (مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ) (٢/ ٢٢٢) .

إبراهيم الطاهرة عليه الصلاة والتسليم ، وماذا يدعى الإيمان الكامل .

ثم علىٰ ذلك فيها اعتراف برسالة محمد سيد المرسلين صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، وذلك أيضاً مقرونٌ ببيان البعثة العامة ، ولله الحمد .

أقول : وكلمة (إن)[1] إن كانت للشك . . فهو غاية المنتهىٰ إذ ذاك ، ولا تكليف فوقه ، وإلا . . فقد علم مجيئها أيضاً للتحقيق ؛ ليكون كالدليل علىٰ ثبوت الجزاء وتحققه ، كقوله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم لأم المؤمنين رضي الله تعالىٰ عنها : « رأيتك في المنام ثلاث ليال ، يجيء بك الملك في سَرَقَة من حرير ، فقال لي : هـٰذه امرأتك ، فكشفت عن وجهك الثوب ، فإذا أنت هي ، فقلت : إن يكن هـٰذا من عند الله . . يمضه » رواه الشيخان عنها رضي الله تعالىٰ عنهما[2] .

ثم قالت : (كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفنىٰ ، وأنا ميتة وذكري باقٍ ، وقد تركت خيراً ، وولدت طهراً) ثم ماتت[3] .

صلى الله تعالىٰ على ابنها الكريم وذويه وبارَك وسلَّم .

وهـٰذه الفراسة الإيمانية منها والمقالة النورانية حقيقة بالتأمل ، حيث قالت : (أنا ميتة وذكري باقٍ) .

آلاف بنات لملوك العرب والعجم ذوات تيجان ظللن في التراب ، لا أحد يعرف لهن اسماً ، ولـٰكن السماوات والأرض لا زالت ترتجُّ بذكر هـٰذه المرأة الطيبة الزكية في محافل الأنس والقدس ، في المشارق والمغارب ، ولا تزال ترتج إلىٰ أبد الآباد ، ولله الحمد .

---

(١) في قولها : (إن صح ما أبصرت . . .) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٩٥) و (٥٠٧٨) و (٥١٢٥) و (٧٠١١) و (٧٠١٢) ، ومسلم (٢٤٣٨) .

(٣) « الحاوي للفتاوي » (مسالك الحنفا في والدي المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم) (٢/ ٢٢٢) .

يحكي السيد الشريف المصري في « حواشيه على الدر » : (أنَّ عالماً مكث متفكراً طول الليل في مسألة الأبوين الكريمين ، واختلاف العلماء ، كيف تنطبق الأقوال ، وآستهوته الفكرة حتىٰ مال على السراج ، فاحترق البدن ، فلما كانت صبيحة تلك الليلة أتاه رجل من الجند يسأله أن يضيفه ، فتوجه إلىٰ بيته ، فمر في أثناء الطريق علىٰ رجل خضري قد جلس بباب خزانة تحت حانوت ، بها موازينه وباقي آلات البيع ، فقام هـٰذا الرجل حتىٰ أخذ بعنان دابة الشيخ ، وقال له شعراً : [من الكامل]

آمنـتُ أن أبـا النبـي وأمـه ... أحياهما الحي القدير الباري
حتىٰ لقد شهدا له برسالة ... صِدْق فتلك كرامة المختار
وبه الحديث ومن يقول بضعفه ... فهو الضعيف عن الحقيقة عاري

ثم قال : خذها إليك أيها الشيخ ، ولا تسهر ولا تتعب نفسك متفكِّراً حتىٰ يحرقك السراج ، ولـٰكن آمض إلى المحل الذي أنت قاصده لتأكل منه لقمة حراماً ، فبهت الشيخ لذلك ، ثم طلب الرجل فلم يجده ، فاستخبر عنه جيرانه من أهل السوق ، فلم يعرفه منهم أحد ، وأخبروا بأنه لا عهد لهم برجل يجلس بهـٰذا المحل أصلاً .

ثم إن الشيخ رجع إلىٰ منزله ، ولم يمض لدار الجندي ؛ لِمَا سمعه من مقالة هـٰذا الأستاذ) اهـ بتصرف يسير(١) .

يا هـٰذا ؛ إن هـٰذا العالِم كان ببركة العلم ملحوظاً بعين العناية ، فهداه علىٰ يد ولي من الغيب ، إياك أن تتورَّط في هـٰذه الورطة ، فتكون سبباً لإيذاء

(١) « الطحطاوي على الدر » (باب نكاح الكافر) (٢/ ٨٠ـ٨١) .

المصطفىٰ صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ـ عياذاً بالله ـ الذي ينجم منه ملاقات النار العظيمة ، رزقنا الله عز وجل حباً صادقاً له صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ظاهراً وباطناً ، وحقيقةَ الآداب معه صلى الله تعالىٰ عليه وسلم ، وجنّبنا أسباب المقت والحجاب والبرأة والعتاب ، آمين آمين آمين يا أرحم الراحمين .

ارحم خوفنا يا أرحم الراحمين ، ارحم عجزنا يا أرحم الراحمين ، ارحم ضعفنا ، تبرّأنا من حولنا الباطل وقوتنا العاطلة ، والتجأنا إلىٰ حولك العظيم وطولك القديم ، وشهدنا بأن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالىٰ علىٰ سيدنا ومولانا محمد وصحبه وذويه أجمعين ، آمين .

الحمد لله ، قد تمت هـٰذه الرسالة الموجزة في جلسات قلائل من أواخر الشوال المكرم ، سنة ثلاث مئة وألف وخمس عشرة من الهجرة ، وسميتها بمناسبة التاريخ :

« شمول الإسلام لأصول الرسول الكرام عليه الصلاة والسلام »

والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

قام بتعريب الرسالة الفقير إلىٰ رحمة ربه الغني

محمد أختر رضا القادري الأزهري

غُفر له